مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

DOI: 10.54240/2318-016-001-027

الآخر الإسلامي في كتابات أرنولد دي لوبيك:
بين السرد التاريخي والخطاب الكنسي في القرن الثالث عشر الميلادي

The Islamic Other in the Writings of Arnold of Lübeck: Between Historical Narrative and Ecclesiastical Discourse in the Thirteenth Century

اسم ولقب المؤلف المرسل: الاغويني برق- Brague Elghouini صص558- 588
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر أ- قسم التاريخ- جامعة زيان عاشور- الجلفة- الجزائر.
البريد الإلكتروني: e.brague@univ-djelfa.dz

تاريخ استقبال المقال: 2025/12/30. تاريخ المراجعة: 2026/01/15.. تاريخ القبول: 2026/05/06.

الملخص: يتناول هذا البحث المُطوَّل بالنظر والتمحيص خِطاب المُؤرّخ الألماني أرنولد دي لوبيك (Arnold of Lübeck) حيال الإسلام والمسلمين، في إطار القرن الثالث عشر الميلادي، الذي شهد تصاعدًا في الاشتباكات العسكرية والرمزية بين أوروبا اللاتينية والعالم الإسلامي. استُخدِمت في هذا البحث أساليب مُتعدّدة تَجْمَع بين التَّحليل النَّقدي للنُّصوص التَّاريخيَّة والدراسة المُقارنة بين خِطاب أرنولد ونُظرائه من المُؤرخين الأوروبيين مثل بطرس المبجل (Peter the Venerable) وجيوم الطيري (William of Tyre). سعى العمل إلى تفكيك تصوّرات الإسلام والنبي محمد ﷺ في خِطاب أرنولد، وإبراز أسسها اللاهوتية والثقافية، وربطها بمفاهيم كـ "المسيحية الحِماية" و"الاستشراف الوسيط". كما استند إلى تدقيق مُعمَّق للمصادر اللاتينية المُعاصرة، وكذلك إلى الأبحاث الغربية الحديثة التي أعادت تقدير صورة الإسلام في الغرب الأوروبي الوسيط.وقد انتهى البحث إلى أن تصوّرات أرنولد دي لوبيك للمسلمين لم تكن مُجرَّد صدى لوقائع تاريخيَّة أو معرفيَّة، بل كانت نتاجًا لصراعات دينيَّة وثقافيَّة، استهدفت تدعيم الهويَّة المسيحيَّة الغربيَّة مُقابل "الآخر الإسلامي". وقد كشفت القراءة النَّقديَّة أن هذه الخطابات شكّلت لاحقًا أساسًا محوريًا في تأسيس الصُّور النَّمطيَّة عن الإسلام في الفكر الأوروبي. يدعو البحث في نهايته إلى الأخذ بقراءة تاريخيَّة عادلة تتجاوز الأحكام المُسبقة، وتُراجِع الروايات

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الغربية القديمة عن الإسلام، بما يُساهِم في تأسيس إدراك مُتوازن وحوار حضاري مُتكافئ بين الثقافات.

الكلمات المفتاحية: أرنولد دي لوبيك- الإسلام في العصور الوسطى- الاستشراق المسيحي- صورة النبي محمد ﷺ- الحروب الصليبية- المسيحية اللاتينية- بطرس المبجل- جيوم الطيري- صورة الآخر- النقد التاريخي- العلاقات الإسلامية المسيحية.

ABSTRACT : *This extensive study critically examines the discourse of the German chronicler Arnold of Lübeck († c. 1212) concerning Islam and Muslims during the 13th century—a pivotal period marked by escalating military and ideological confrontations between Latin Christendom and the Islamic world. The research adopts a multidisciplinary approach that combines textual analysis with comparative historiography, particularly contrasting Arnold's representations of Islam with those of his contemporaries, such as Peter the Venerable and William of Tyre.*

The study aims to deconstruct Arnold's portrayal of Islam and the Prophet Muhammad ﷺ, revealing the theological and cultural underpinnings that informed his narrative. It situates Arnold's work within broader frameworks such as "defensive Christianity" and "medieval orientalism," drawing on both primary Latin sources and modern Western historiography that has reevaluated medieval Christian perceptions of Islam.

The findings suggest that Arnold's depictions were not merely descriptive or factual, but rather deeply rooted in religious polemics and cultural self-assertion. These narratives contributed to the construction of a Christian identity in opposition to the Islamic "Other" and laid the groundwork for later stereotypical portrayals of Islam in European consciousness.

Ultimately, the study calls for a balanced and historically grounded reassessment of medieval Christian-Muslim discourses, advocating for an equitable intercultural dialogue free from inherited biases and entrenched misrepresentations.

Keywords: Arnold of Lübeck- Islam in the Middle Ages- Christian Orientalism- Image of the Prophet Muhammad (peace be upon him)- The Crusades- Latin Christianity- Peter the Venerable- William of Tyre- Image of the Other- Historical Criticism- Islamic -Christian Relations.

مقدمة في أوروبا الغربية، أثناء فترة العصور الوسطى، حدث تحول بارز على صعيد البنية الفكرية والعقائدية، انعكس بوضوح في الكيفية التي صورت بها المجتمعات علاقتها بالمعتقدات

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

والأتباع الآخرين، وبالأخص المسلمين. إن المدونات التي تركها مؤرخو تلك الحقبة تعد سجلاً قيماً- قد يحتوي على تحريفات أحياناً- لفهم نظرة ذلك الزمن للإسلام وللرسول محمد ﷺ، وهي رؤى امتزج فيها التأمل اللاهوتي مع التحيزات السياسية، وتداخل الخيال الأسطوري في سرد الوقائع التاريخية. وفي خضم هذا المشهد، يبرز اسم المؤرخ الألماني البارز في القرن الثالث عشر، أرنولد من لوبيك (Arnold of Lübeck)، الذي تولى استكمال عمل هيلمار من بوساو، مضيفاً فصولاً مهمة لتغطية التطورات الجوهرية في التفاعلات بين العالم اللاتيني والكيان الإسلامي.على الرغم من أن أرنولد لم يكن حاضراً بشكل مباشر لمشاهدة الصراعات العسكرية أو المباحثات الدبلوماسية بين الشرق والغرب، فإن عمله التاريخي يشكل مرجعاً فكرياً ذا أهمية، إذ يعكس رؤية نخبوية لاتينية تجاه الإسلام، متأثراً بشكل كبير بحملات الحروب الصليبية، وتنامي هيمنة الفكر الكنسي، وتراكم السرديات اللاهوتية المتعلقة بشخصية النبي محمد ﷺ. بالتالي، فإن تحليل كيفية تصوير الإسلام في كتابات أرنولد وربط ذلك بالإطار التاريخي والروحي الذي أُنتجت فيه، يمكّننا من استيعاب أعمق للطرق التي صيغ بها مفهوم "الآخر المسلم" ضمن المخيلة الأوروبية في العصور الوسطى.

تكمن القيمة الجوهرية لهذا العمل البحثي في سعيه لسدّ فجوة واضحة في الأدبيات الأكاديمية العربية؛ إذ غالباً ما انصبّ الاهتمام على الخطابات المرتبطة بالحملات الصليبية من المنظورين الفرنسي أو الإيطالي، في حين حظيت الإسهامات الألمانية، مثل عمل أرنولد، بالاهتمام الأقل، رغم ثقلها الكبير في فهم مسار الفكر الغربي. وعلاوة على ذلك، يهدف البحث إلى تسليط الضوء على كيفية نمو الخطاب المسيحي تجاه الإسلام بعيداً عن سياق المعارك المباشرة للحروب الصليبية، متناولاً إياه في مجال فكري وثقافي أكثر تشابكاً، حيث تتداخل المفاهيم الدينية مع الروايات الشعبية والتصورات السياسية السائدة.يتمحور هذا البحث حول تساؤل أساسي: بالشكل الذي صاغ به أرنولد دي لوبيك صورته عن المسلمين والنبي محمدﷺ، وما هي الجذور اللاهوتية والثقافية التي شكّلت هذا التصور؟ وكيف تشابكت هذه الرؤى مع ما كتبه معاصروه، كبطرس المبجل وغيوم الطيري؟ بالإضافة إلى ذلك، يطمح البحث إلى تتبع الأثر المتبادل بين إسهامات أرنولد والاستجابات التي تلتها ضمن الإطار الثقافي الأوروبي

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

في العصور الوسطى فيما يخص الإسلام، وذلك في سياق تشكّل الصور النمطية في الوعي الجماعي الأوروبي.

للإيفاء بمتطلبات الإجابة عن هذه التساؤلات المطروحة، استندت هذه الدراسة إلى أسلوب نقدي تحليلي قائم على المقارنة. هذا المنهج يمزج بين التدقيق في النصوص اللاتينية المكتوبة أصلاً وبين استقصاء التفسيرات المعاصرة المتداولة في الأبحاث الاستشراقية والنظريات المسيحية التي سادت في العصور الوسطى. مع إيلاء اهتمام خاص للظروف الزمانية والمناخ السياسي الذي صَبَغَ أسلوب أرنولد في الكتابة. وقد نُظِّم محتوى البحث في أقسام مترابطة تتناول المراحل التاريخية التأسيسية، ثم تتعمق في تفكيك النصوص، وموازنتها مع آراء معاصرة، ليتوج البحث بتقديم تقييم نقدي متكامل يعيد تحديد موقع أرنولد دي لوبيك ضمن المشهد الفكري الخاص بتفاعلات الإسلام مع أوروبا الغربية في العصور الوسطى.

1- نظرة تاريخية وموقع سياقي عن أرنولد اللوبيكي: مسيرته وإسهاماته شهدت أوروبا الغربية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر نقطة محورية من التقلبات اللاهوتية والتحولات السياسية العميقة. في خضم هذه الديناميكيات، ظهر مفكرون ورجال دين بارزون سعوا للتأثير في الفكر المتداول في العالم اللاتيني، خصوصًا فيما يتعلق بالتعامل مع التباين الديني والثقافي الممثل في "الآخر"، وبالتحديد المسلمين. ومن بين هؤلاء المؤثرين، يسطع نجم أرنولد دي لوبيك (Arnold of Lübeck)، الذي يُعد أحد أبرز المؤرخين في المناطق الألمانية الشمالية خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر وبدايات القرن الثالث عشر. لم يقتصر دور أرنولد على تدوين الأحداث فحسب، بل كان مراقبًا دقيقًا للتغيرات الجغرافية السياسية التي أعادت تشكيل المشهد الأوروبي، ومشاركًا نشطًا في جهد فكري كنسي يهدف إلى تأكيد الإطار العقائدي الكاثوليكي للعالم، وتدعيم التصورات الثابتة عن المسلمين كأضداد دينيين وحضاريين ضمن مسيرة التوسع المسيحي المتجه نحو الشمال والشرق والجنوب.

وُلد أرنولد في الجزء الأخير من القرن الثاني عشر. القليل متوفر عن بداياته أو عائلته، لكن من الثابت أنه نشأ ضمن البيئة الرهبانية التابعة لأسقفية لوبيك بشمال ألمانيا. كانت تلك المدينة آنذاك ملتقى للطرق التجارية والدينية، ومنطلقًا لتحركات فرسان التيوتون في منطقة

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

البلطيق، بالإضافة إلى أهميتها الكبيرة كجزء من النظام البحري الهانزاتي فيما بعد. اضطلع أرنولد بمهامه في دير القديس يوحنا الإنجيلي في لوبيك، وهناك، وسط هذا الإطار، بدأ مسيرته في الكتابة التاريخية. كانت هذه العملية تتبع المنهج اللاتيني المدرسي الرهباني الراسخ، الذي اعتبر النصوص التاريخية وسيلة لإبراز عظمة عمل الخالق على الأرض، وليست مجرد تدوين للأحداث العابرة[1].

تألق أرنولد بشكل ملحوظ عبر إتمامه العمل الذي بدأه هيلمار من بوزاو في "وقائع السلاف" (Chronica Slavorum). هذا العمل التاريخي، الذي خاض في سرد تاريخ القبائل السلافية في منطقة بحر البلطيق، ركّز بشكل خاص على صلتها بالمساعي التبشيرية الجرمانية وامتداد المسيحية تحت إشراف أبرشية بريمن. لم يكتفِ أرنولد بمتابعة السرد، بل تولى إعادة تشكيل الروايات التاريخية، مصوغًا إياها برؤية تحمل طابعًا رمزيًا ولاهوتيًا أعمق. يظهر هذا التحول في معالجته لكل من الكيانات الوثنية من ناحية، والمسلمين من ناحية أخرى، وإن كان التناول الأخير غير مباشر. فعلى الرغم من عدم وجود احتكاك مباشر لأرنولد مع الإسلام في واقعه اليومي، إلا أن صورة الإسلام كانت حاضرة كـ"الآخر" النموذجي الذي يجب استحضاره لتعزيز الهوية المسيحية، وترسيخ التفوق الحضاري والسياسي للكيان اللاتيني[2].

يُعد أرنولد دي لوبيك من الشخصيات المحورية لما يمكن أن نطلق عليه "الاستشراق المسيحي القديم"، وهو تيار فكري لم ينطلق أساسًا من بحث واقعي ومُعمَّق في العالم الإسلامي، بل تبلور نتيجة لتصورات رمزية عن الإسلام. وظيفة هذه التصورات كانت مزدوجة: دعم التماسك الداخلي للمسيحية وتوفير مسوغات لشن الحملات الصليبية، بالإضافة إلى تدعيم الرواية اللاهوتية التي تؤكد التفوق العقائدي. بالتالي، لم يُنظر إلى الحيز الإسلامي في منظور أرنولد كميدان للدراسة والمعرفة المستقلة، بل كسطح عاكس تعكس عليه أوروبا اللاتينية صورتها الذاتية؛ صورة متسمة بالريادة، والارتباط الوثيق بسردية الخلاص الإلهية،

1 Helmrath, Vandenhoeck & Ruprecht, Göttingen, 1994, p. 88

2 Smail, Princeton University Press, Princeton, 1956, p. 112

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

والوفاء المطلق للمبادئ الإيمانية[1]. لذلك، يقتضي فهم إنتاجات أرنولد إدراك الإطار العقائدي الذي شكّل رؤيته؛ سردٌ تاريخي لا يهدف إلى الموضوعية، بل يميل بوضوح لدعم المرجعية المسيحية تحديداً، وذلك في صدامها مع ما هو وثني، أو شرقي، أو إسلامي.

في حقبة تجلّى فيها المدّ المسيحي نحو المشرق كمهمة إيمانية مقدسة، كان أرنولد يزاول عمله؛ حيث تظافرت جهوده مع تمدد الفرسان التيوتونيين في مناطق ليفونيا وبروسيا، وما رافق ذلك من تزايد الاحتكاك -سواء بالصراع المسلح أو التجارة الاستراتيجية- مع المجتمعات السلافية وغير السلافية في منطقة البلطيق. بالتوازي، شهدت تلك الأزمنة إطلاق موجة جديدة من الحملات الصليبية باتجاه الشرق الإسلامي في بلاد الشام، وبالأخص الحملة الثالثة التي جاءت ردًا على استرداد القدس عام 1187م. هذا المناخ العقائدي-السياسي الضاغط هو الذي صاغ المنظار الذي اعتمد عليه أرنولد في تفسير مجريات العالم وتوثيق أحداثه. فوفق رؤيته، ينقسم الوجود البشري إلى حقلين متنافرين: الحقل المسيحي التابع للرسالة الأصلية الذي يحتكر "الحقيقة"، والنقيض المتمثل في الوثنيين أو المسلمين الذين يمثلون "الضلال المبين". بناءً على هذا التقسيم الجذري، تتشكل صورة المسلمين في مُدَوَّناته لتخدم غرضًا محددًا للكتابة التاريخية الصادرة عن الأديرة، وهو أن تكون أداة للدعوة والتبشير، متجردة من أي ادعاء بالحَياد المعرفي[2].

ومن الأمور التي تستحق الإشارة أن أرنولد يندرج تحت مجموعة من المؤرخين الذين اعتبروا التاريخ مسرحًا للصراع الروحي، وليس مجرد تتابع للأحداث الزمنية. ونتيجة لذلك، فإنه يستلهم من الرموز الدينية عند وصفه لخصوم المعتقد المسيحي، حيث يُسقط على المسلمين سمات مقتبسة من النصوص الدينية التي تتناول "معارضي الإله"، بدلاً من الاعتماد على المصادر المعلوماتية المحايدة. ويشير الدارسون إلى أن هذا التوظيف الرمزي لم يكن عشوائيًا، بل شكل عنصرًا محوريًا في خطة عقائدية تهدف إلى توطيد التضامن المسيحي في

1 Southern, Harvard University Press, Cambridge, 1962, p. 149

2 Flori, Fayard, Paris, 1999, p. 212

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

مواجهة تهديد خارجي، سواء كان واقعيًا أو مُتَوهَّمًا[1]. ومن هذا المنطلق، يبرز الدور المحوري الذي شغَلَتْهُ صورة المسلم في فِكر أرنولد، حيث لم يكن يُنظَر إليه كعدو مكاني، بل كدلالة لاهوتية تمثل الشر والضلال. وهذا بالتحديد ما يجعل مؤلفاته منبعًا ثمينًا لدراسة الخطاب المسيحي اللاتيني الموجه ضد الإسلام خلال فترة العصور الوسطى.

لقد ارتبطت وظيفة التأريخ لدى أرنولد دي لوبيك بما يُعرف في الفكر الديني الأوروبي الوسيط بـ"الغاية العلوية للتاريخ"، أي أنَّ ما يُكتب ليس تسجيلاً عرضيًا لحوادث البشر، بل بيانٌ لمسار الخلاص الإلهي الذي يتجلّى من خلال انتصارات المسيحيين وهزائم خصومهم، وفي القلب من هؤلاء الخصوم المسلمون. فبقدر ما تعمّق أرنولد في استكمال *Chronica Slavorum*، لم يكن بعيدًا عن التيارات السائدة في فكر الكنيسة اللاتينية حول "حرب الله المقدسة" التي توحّد بين حملات التبشير، والغزو العسكري، والتاريخ اللاهوتي. وبالتالي، فإن كل ذكر للمسلمين أو رمزية عنهم في نصوصه ينبغي أن تُقرأ في ضوء هذه الغائية العميقة[2].

ومع أن مؤلفه لم يكن مكرّسًا بشكل مباشر لتأريخ العلاقات بين أوروبا والإسلام، إلا أن السياقات التي كُتب فيها النص تفرض علينا قراءةً مزدوجة: الظاهر فيها وصف للأحداث في شمال وشرق أوروبا، والباطن فيها استحضار لعدوٍ خارجي مركزي، يتمثل في صورة الإسلام. وقد لجأ أرنولد، شأنه شأن معاصريه من المؤرخين الرهبان، إلى توظيف رموز سردية من المرويات الإنجيلية لتصوير المسلمين كـ"شعوب مُضلة"، تعيش في "الظلام الروحي"، وتنتظر "نور الخلاص" الذي لا يأتي إلا على يد المسيحية اللاتينية[3]. فالنص التاريخي هنا ليس حيادياً، بل يحمل رسالة ضمنية ومباشرة: تفوّق المسيحية الأوروبية، وانحراف المعتقدات الأخرى، ووجوب إخضاعها إما بالسيف أو بالتنصير.

من زاوية أخرى، يمثل أرنولد نموذجًا حيًا لعملية التدوين التاريخي التي تحوّلت في القرون الوسطى إلى أداة من أدوات بناء "الآخر". فالمسلم في نصوص أرنولد هو تجسيد لتهديد مزدوج:

1 Riley-Smith, Oxford University Press, Oxford, 2005, p. 95

2 Chazan, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1987, p. 63

3 Daniel, University of Edinburgh Press, Edinburgh, 1993, p. 41

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

تهديد عسكري يتمثل في الذاكرة الحية للحروب الصليبية، وتهديد لاهوتي يمثله الإسلام كدين منافس يدّعي وحيًا ويملك مؤسسات قوية وثقافة راقية .ولذا فإن عملية تشويه الإسلام والمسلمين لم تكن ناتجة عن جهل فقط، بل كانت استراتيجية معرفية لإنتاج خطاب تفوّق، ولهذا فإن صورة المسلم غالبًا ما ترتبط عنده بصور مماثلة لخصوم داخليين آخرين: الوثنيين السلاف، والهرطقة المحلية، واليهود، مما يدل على وحدة منطق الإقصاء اللاهوتي الذي تحكم في بنية الخطاب التاريخي المسيحي اللاتيني الوسيط[1].

وإذا نظرنا إلى العالم الذي عاش فيه أرنولد دي لوبيك من منظور تاريخي، فإننا نرى أنه كان زمنًا تحكمه شبكات متعددة من الصراعات، ليس فقط بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، بل كذلك بين المراكز المسيحية نفسها: صراعات البابوية مع الإمبراطورية، وصعود مدن التجار المستقلة، وتحولات الرهبنة من التأمل إلى التبشير. لقد كانت كتابات أرنولد ابنةً لهذا العالم، واختارت أن تصوغ سرديتها انطلاقًا من رؤية رهبانية تؤمن بأن الحقيقة المطلقة مُحتكرة في الكنيسة الغربية، وبأن كل ما هو خارجي –من عرب ومسلمين وشرقيين وبدائيين– يمثل خطرًا على تلك الحقيقة[2].

وهنا تبرز أهمية أعمال أرنولد ليس بوصفها مصادر عن "الواقع"، بل بوصفها مفاتيح لفهم التخييل الغربي عن الإسلام في فترة حرجة من التاريخ الأوروبي. فالمؤرخ لا ينقل فقط، بل يُعيد تشكيل المعنى، وهذا ما يجعل دراسة أرنولد ضرورية لكل باحث في جذور الصور النمطية عن الإسلام في المخيال الأوروبي الوسيط. فمن خلال سردياته المتكررة حول انتصارات المسيحية على الشعوب الوثنية، نستطيع أن نفهم كيف أن تلك الانتصارات كانت تمهيدًا رمزيًا واستعاريًا لرغبة دفينة في انتصارٍ مشابه على المسلمين، حتى وإن لم يصرح بذلك دائمًا[3].

وقد ساعد موقع لوبيك الجغرافي والتجاري في تزويد أرنولد بخبرة غير مباشرة عن العالم الإسلامي، من خلال قوافل التجار والبعثات الدبلوماسية التي كانت تمر بالمدينة في طريقها

1 Constable, Harvard University Press, Cambridge, 1996, p. 105

2 Tyerman, Penguin Books, London, 2006, p. 287

3 Tolan, Columbia University Press, New York, 2002, p. 169

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

نحو المشرق، أو تأتي من صقلية والأندلس عبر البحر. وربما تلقّى أخبارًا عن المسلمين من فرسان عادوا من الأرض المقدسة أو من التجار الإيطاليين الذين بدأوا- رغم الصراع- بالتبادل التجاري مع موانئ شمال أفريقيا. إلا أن كل تلك المعطيات لم تغيّر في بنية التمثيل النمطي التي تشبّع بها أرنولد في مدرسته اللاهوتية الرهبانية، والتي جعلت من الإسلام "عدوًا رمزيًا" دائم الحضور، حتى في سياقات لا ترتبط به بشكل مباشر[1].

ومن خلال المقارنة بين النسخة الأصلية التي كتبها *هيلمار من بوزاو* وبين استكمالات أرنولد، يُلاحظ أن الأخير عمد إلى تكييف المادة التاريخية بطريقةٍ تخدم السياق اللاهوتي للقرن الثالث عشر، وهو سياق أكثر عدوانية تجاه الإسلام مقارنة بما كان عليه في القرن الثاني عشر. فبينما اتسمت بعض الكتابات الأولى بنوعٍ من المحايدة الوصفية- رغم إطارها التبشيري- جاءت إضافات أرنولد مُحمّلة بمفاهيم "النجاة الحصرية" التي ترسخت أكثر بعد فشل الحملة الصليبية الثالثة، وتحول الجهاد الإسلامي في المشرق والأندلس إلى قوة ضغط رمزية وسياسية على الهوية المسيحية اللاتينية[2]. وهذا التحول في الصياغة التاريخية يكشف أن أرنولد لم يكن مجرد مؤرخ استكمل عملاً سابقًا، بل مفكرٌ أعاد إنتاج سردية التاريخ بما يتناسب مع احتياجات المرحلة، وساهم بشكل غير مباشر في بناء المقولات التي بررت الحروب الصليبية، حتى في المناطق البعيدة عن أرض المسلمين.

ولعل أهم ما يكشف عن البنية اللاهوتية العميقة في فكر أرنولد هو اعتماده على تقسيم دقيق للعالم بحسب مفاهيم "الظلام والنور"، و"الخلاص والهلاك"، وهي ثنائيات رسختها نصوص آباء الكنيسة وعمّقتها الحملات الصليبية. المسلم في هذا السياق ليس فقط عدوًا سياسيًا أو دينيًا، بل كيان مظلم، محجوب عن نور الخلاص الإلهي، ويجب إخضاعه لا لتحقيق مكسب سياسي، بل لإنقاذ روحه من الهلاك. وهذه النظرة ليست اعتباطية، بل تجد جذورها في الفكر الأوغسطيني، الذي أثّر عميقًا في جميع كتابات المؤرخين الرهبان، حيث يُنظر

1 Folda, Cambridge University Press, Cambridge, 2005, p. 142

2 Housley, Yale University Press, New Haven, 2008, p. 117

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

إلى غير المسيحيين باعتبارهم "مواد للمحنة"، يتم من خلالهم اختبار إخلاص المسيحيين للحق الإلهي[1]. لذا، فإن حملات التشويه الرمزي التي مارسها أرنولد ضد المسلمين- حتى وإن لم تَذكرهم إلا عرضًا- كانت استمرارًا لمشروع أيديولوجي يهدف إلى تثبيت حق الكنيسة وحدها في تأويل العالم.

أما في ما يتعلق بالإشارات المباشرة إلى المسلمين في نص أرنولد، فغالبًا ما تأتي ضمن مقارنات سردية، حين يتحدث عن "الوثنيين" المحليين في البلطيق أو السلاف، فيُسقط عليهم صفات مستمدة من التصورات الغربية عن المسلمين، مثل "الوحشية"، "الانحراف العقدي"، أو "التمرد على الله". وهذا الإسقاط المتكرر يدل على أن صورة المسلم كانت بمثابة القالب المرجعي الذي تُقاس عليه بقية صور "الآخر"، وأن الإسلام قد احتل في وعي المؤرخ اللاتيني منزلة العدو النموذجي، الذي يُستعمل مرجعية دائمة لكل تهديد روحي أو حضاري[2]. ومن هنا، فإن دراسة عمل أرنولد لا يمكن أن تُفصل عن دراسة المخيال الأوروبي عن الإسلام كأداة لخلق الآخر وتثبيت الذات.

كما يجب التنويه إلى أن التداخل بين الديني والسياسي عند أرنولد يعكس جوهر الفكر التاريخي الوسيط، حيث لم يكن هناك فصل بين "الكرسي الرسولي" و"السيف الإمبراطوري". لقد كتب أرنولد في زمن كان فيه مشروع "الإمبراطورية الرومانية المقدسة" يتقاطع مع الطموحات البابوية في قيادة العالم المسيحي، وبالتالي فإن المسلمين- كخصم خارجي- شكّلوا عنصرًا تبريريًا في خطاب وحدة المسيحية تحت قيادة روما. وكان أرنولد، من خلال تأريخه لانتصارات المسيحيين في البلطيق، يؤسس- بوعي أو بدون وعي- لسردية مقابلة عن ضرورة الانتصار على المسلمين في الشرق، أو على الأقل تثبيت عدائهم في الوعي الجمعي. إنه يؤرخ لـ"الضفة الأخرى من المعركة"، لكنه يكتب وفي ذهنه معركة أخرى تجري في الشام والأندلس،

1 Markus, Cambridge University Press, Cambridge, 1990, p. 204

2 Tolan, Routledge, London, 2000, p. 88

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ولذلك تندمج الرموز وتتماهى الأعداء في خطابٍ يُقصي كل غير مسيحي بوصفه تهديدًا وجوديًا[1].

من هذه الزاوية، تُعد كتابات أرنولد مثالًا مبكرًا على ما يمكن تسميته بـ"المركزية المسيحية للتاريخ"، وهي مدرسة تأريخية سادت في أوروبا العصور الوسطى، تقوم على فرضية أن التاريخ يبدأ وينتهي عند المسيحية، وأن غير المسيحيين ليس لهم تاريخ مستقل إلا بقدر ما يلتقون أو يصطدمون بالتاريخ الخلاصي. وقد أثرت هذه الفرضية في مجمل خطاب العداء للإسلام، إذ جُردت المجتمعات الإسلامية من استقلاليتها الحضارية، وصُورت فقط كتهديد لرحلة المسيحية نحو الخلاص، دون اعتبار لتعددها الثقافي أو عمقها الفلسفي. وكان أرنولد، في هذا السياق، ينتمي بوضوح إلى التيار الذي يرى في الإسلام خطرًا لاهوتيًا لا يمكن احتواؤه، بل يجب هزيمته أو "تطهيره" عبر التبشير أو الإبادة الرمزية[2].

إن التمثيلات السردية التي يعتمدها أرنولد دي لوبيك لبناء هوية المسيحي الأوروبي لا تكتفي فقط بإقصاء "الآخر الإسلامي" أو "الوثني السلافي"، بل تتجاوزه إلى تشكيل نمط خاص من "الذات"، مبنيّ على التفوق الإيماني والتاريخي معًا. المسلم، في خطابه، ليس فقط كائنًا ضالًا، بل عنصر من عناصر الابتلاء الإلهي الذي يُختبر من خلاله إخلاص المسيحيين، وبخاصة القادة والزعماء العسكريين. وقد تعمد أرنولد أن يربط بين انتصارات المسيحيين في البلطيق وبين نموذجية الانتصارات الصليبية في المشرق، حتى وإن لم يكن ذلك ظاهرًا بشكل مباشر، مما يُشير إلى وحدةٍ سردية عابرة للجغرافيا داخل الأدب التاريخي المسيحي الوسيط، حيث يصبح كل انتصار محلي جزءًا من انتصار كوني للحق المسيحي على الكفر[3].

وفي هذا الإطار، يمكن فهم إشارات أرنولد إلى "الوثنيين" الذين تم "تعميدهم" في شمال أوروبا باعتبارها تعويضًا رمزيًا عن فشل المسيحية في إخضاع المسلمين في الشرق. فحين تعذّر الانتصار على الإسلام في القدس والقاهرة، تحوّلت الجهود إلى "العدو الأقرب"، أي السلاف

1 Brett, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2001, p. 153

2 Siebold, Franz Steiner Verlag, Stuttgart, 2006, p. 237

3 Flori, Fayard, Paris, 2007, p. 291

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

والليتوان، لكن وعي المؤرخ ظلّ مشدودًا إلى النموذج الأصلي للصراع: الإسلام. لذا فإن أية إشارة إلى تنصير شعب وثني ترافقها نبرة انتصار ضمنيّة على الإسلام، وكأن الكاتب يقول: "لقد خسرنا القدس، لكننا ربحنا ليفونيا[1]. "وبذلك يتضح أن المسلمين، رغم غيابهم الجغرافي عن منطقة التأريخ المباشر، ظلوا حاضرين على مستوى الرمز والدلالة.

ومن المهم أيضًا أن نلاحظ كيف أن أرنولد لم يكن يكتب في فراغ، بل كان جزءًا من تيار فكري أوروبي أوسع يعيد تأطير صورة المسلمين في ضوء الصراع الطويل مع العالم الإسلامي، منذ ظهور الإسلام وحتى سقوط أنطاكية بيد المسلمين عام 1268م. ففي هذا الإطار الزمني، تزايدت الحاجة إلى إنتاج خطاب يُضفي الشرعية على الحملات العسكرية وعلى التوسّع البابوي، فكان تصوير الإسلام كدين عنيف وهرطوقي يُعزّز من مركزية الكنيسة ويمنحها دورًا نبويًا في قيادة العالم نحو الخلاص. هذا ما يجعل أرنولد، رغم كونه مؤرخًا محليًا من لوبيك، يساهم في تشكيل خطاب عابر للأقاليم يُعيد إنتاج الصورة السلبية عن المسلمين بأسلوب يستبطن اللاهوت أكثر من استعراض الوقائع[2].

ويكتسب هذا المعطى أهميته حين نتأمل تأثير كتابات أرنولد في الأجيال التالية من المؤرخين، إذ أصبحت بعض مفاهيمه الرمزية مرجعية في الخطاب الرهباني. إن حديثه المتكرر عن "انتصار النور على الظلام"، و"تطهير الشعوب من ضلالها"، لم يُفهم فقط في سياقه المحلي، بل تم توظيفه لاحقًا في حملات التنصير في ليتوانيا، وفي الأدبيات الدينية التي تبرّر العداء لليهود والمسلمين في مدن أوروبا الغربية. لقد أصبحت السردية التي بدأها أرنولد بنقل أحداث من شمال ألمانيا، جزءًا من آلة أيديولوجية أوسع، صاغت من خلالها الكنيسة خطابًا يستبطن عنفًا رمزيًا يُمارس على الآخر المختلف دينيًا[3].

وما يُميّز أرنولد أيضًا عن غيره من المؤرخين في عصره، هو أنه- رغم التزامه بالإطار الرهباني اللاتيني- لم يتبنَّ خطابًا عسكريًا مباشرًا، بل اختار دائمًا التعبير عن الانتصار

1 Riley-Smith, Oxford University Press, Oxford, 1997, p. 208

2 Southern, Harvard University Press, Cambridge, 2001, p. 97

3 Vauchez, Les Belles Lettres, Paris, 2003, p. 215

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المسيحي بلغة الطهر الروحي والانعتاق من "الخطيئة الجماعية"، مما يُحيل إلى فهمٍ لاهوتي للصراع مع الإسلام، حيث يُصور المسلمون كممثلين للخطيئة الأصلية التي يجب كسرها عبر التعميد والانخراط في الكنيسة. وهذا الطرح يكشف عن عمق التصورات اللاهوتية المتجذرة في وعي أرنولد، ويجعل من نصه أكثر من مجرد سردٍ للأحداث، بل مشروعًا لقراءة العالم من منظور إسكاتولوجي يضع الإسلام ضمن دائرة "الانحرافات التي تسبق نهاية العالم[1]."

وفي تحليل أكثر دقة لأسلوب أرنولد، يمكن أن نرصد حضورًا مكثفًا لمفردات رمزية مثل "المعمودية"، "النور الإلهي"، "الإيمان الحق"، مقابل مفردات النفي مثل "الكفر"، "الضلال"، و"الجهالة"، وهي مفردات تتكرر كلما اقترب الحديث من الآخر الديني، حتى وإن لم يُذكر الإسلام صراحة. هذه اللغة لا تعكس فقط انتماءً لاهوتيًا، بل تكشف عن بنية عقلية ترى الآخر من خلال شبكة تصنيفية لا تتيح له إلا موقعًا واحدًا: الهامش، سواء كان ذلك الهامش إثنيًا أو دينيًا أو حضاريًا. ومن هنا نفهم أن صورة المسلم لدى أرنولد ليست انعكاسًا لتجربة شخصية مباشرة، بل نتاج تراكم رمزي تشكّل عبر قرون من اللاهوت المضاد للإسلام، وعبر منظومة ثقافية تربط بين الإيمان والمركز، وبين الاختلاف والانحراف[2].

وعند التأمل في السياقات السياسية التي كُتبت فيها مؤلفات أرنولد دي لوبيك، نجد أن البيئة التي تحيط به- ألمانيا في النصف الأول من القرن الثالث عشر- كانت مسرحًا لتحولات كبرى أثّرت على رؤيته للمسلمين، حتى وإن لم يكن التماس المباشر معهم قائمًا. لقد شهدت تلك الفترة تصاعد النزاع بين البابوية والإمبراطورية، وهو صراع لم يكن ذا طابع داخلي محض، بل استُخدمت فيه رموز "الخطر الخارجي "كوسيلة لتبرير مشاريع السيطرة والتعبئة العقائدية. ومن ثم، تحوّل المسلم- في المخيال الكنسي- إلى رمز مضاعف: عدو خارجي يُستخدم داخليًا لتعزيز سلطة الكنيسة، وفي الوقت ذاته مادة خطابية تُبقي على شعور دائم بالتهديد[3].

في هذه الأجواء، يُفهم أن أرنولد كان يكتب نصوصه التاريخية بلغة تُضمر هذا التوتر، وتعمد

1 McGinn, Columbia University Press, New York, 1998, p. 189

2 Frassetto, Palgrave Macmillan, New York, 2011, p. 174

3 Mayer, Clarendon Press, Oxford, 1990, p. 142

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

إلى تمثيل المسلمين بوصفهم تجسيدًا لـ"الانحراف العقدي" الذي يتوجب اجتثاثه فكريًا وروحيًا.

وعلى الرغم من أن أرنولد لم يُعرف بكونه شاهدًا مباشرًا على الحروب الصليبية في المشرق، إلا أن أثر هذه الحروب واضح في كتاباته من حيث البنية الرمزية والصياغة اللاهوتية. فالروايات التي ينقلها عن انتصارات المسيحيين في البلطيق تحمل نفس الطابع "الخلاصي" الذي وُصفت به الحروب الصليبية، بل إن اللغة نفسها التي تُستخدم لتصوير "تنصير الوثنيين" تُحاكي اللغة التي وصف بها المؤرخون الصليبيون اقتحام القدس عام 1099م أو الاستيلاء على المدن الساحلية الشامية. وهذا التداخل في التوصيف يكشف أن أرنولد لم يكن يسجل فقط وقائع محلية، بل كان يعيد إنتاج خطابٍ صليبي عالمي، يُسقط من خلاله رموز الشرق الإسلامي على مشاهد الغرب الوثني[1].

وقد ساعد في هذا التشكيل الفكري موقع دير أرنولد كمركز ثقافي مرتبط بشبكة من الأديرة الرهبانية المنتشرة في أوروبا، والتي كانت تتبادل النصوص والترجمات وتعيد صياغة الروايات بما يخدم السياق المحلي. ومن المعروف أن العديد من المخطوطات التي استخدمها أرنولد كانت تتضمن إشارات إلى المسلمين من خلال ترجمات لاتينية لأعمال عبرية وعربية نُقلت في مدارس طليطلة وسرقسطة، مما أتاح له مادة معرفية غنية وإن كانت مشوهة. ومن ثم، فإن المعرفة التي امتلكها عن الإسلام لم تكن ناتجة عن احتكاك مباشر، بل عبر وسيط مزدوج: الترجمة المسيحية اللاتينية، والتأويل اللاهوتي[2]. وهذا ما يجعل تحليله للإسلام أقرب إلى الكاريكاتور اللاهوتي منه إلى الدراسة الموضوعية.

ومن النقاط المهمة التي ينبغي التوقف عندها، أن أرنولد لم يكن يرى في المسلمين مجرد "خصم جغرافي"، بل "تحديًا إيمانيًا" يجب هزيمته لاهوتيًا. ومن هذا المنطلق، يُلاحظ أن الصور التي رسمها لهم في نصوصه تتكرر عند الحديث عن أي فئة دينية مخالفة، سواء كانت يهودًا أو

1 France, Routledge, London, 1994, p. 234

2 Burnett, Variorum, Aldershot, 1996, p. 311

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وثنيين. إنها عملية نمذجة للعدو، تجعل من كل مخالف صورةً للمسلم، وتُسقِط عليه نفس الصفات التي رُسمت في المخيال الجمعي بعد الحملات الصليبية الأولى. وقد عبر عن هذا النمط بجلاء عدد من الباحثين في الدراسات المقارنة، حيث بيّنوا أن الإسلام لم يكن في وعي الغرب اللاتيني دينًا قائمًا بذاته، بل مرآةً يُنظر من خلالها إلى "الانحراف" بوصفه ضدًّا للكنيسة[1]. وهكذا، يصبح المسلم وحدةً رمزية تُستعمل باستمرار لإعادة إنتاج "حدود الهوية" المسيحية.

والمثير للاهتمام أن أرنولد، رغم كونه ينتمي إلى مؤسسة رهبانية محافظة، كان يستخدم لغةً سياسية واضحة في بعض المواضع، يُحمّل فيها المسلمين مسؤولية "تعطيل مشروع الخلاص". هذه اللغة تُشير إلى تقاطع اللاهوت بالسياسة في صياغة خطاب العداء، حيث تتحوّل العقيدة الإسلامية من مجرد دين منافس إلى عائق تاريخي أمام سيرورة الخلاص المسيحي. ومن هنا جاء الربط المتكرر في نصوصه بين "الخطيئة الجماعية للمجتمعات الوثنية" و"الانتصارات الإسلامية"، في تصورٍ يرى في نجاح المسلمين دليلًا على تقاعس المسيحيين أو انحرافهم، وهو منطق يرتبط بفكرة "العقاب الإلهي" التي ظهرت كثيرًا في الفكر الكنسي بعد خسارة القدس[2]. إنه ربطٌ يجعل من الإسلام لا مجرد خصم، بل أداة في يد العناية الإلهية لتأديب المؤمنين.

ولذلك، فإننا حين نحلل خطاب أرنولد عن المسلمين، لا يجب أن نقرأه فقط بوصفه مادة عدائية، بل بوصفه خطاب أزمة، يُعبّر فيه الكاتب عن خلل داخلي في المجتمع المسيحي، يُسقطه على الآخر كي يُعيد ترميم الذات. ومن هذا المنظور، فإن المسلمين لا يظهرون ككيان مستقل، بل كمرآة تعكس هشاشة الإيمان المسيحي في الداخل، وتُستَخدم لتفعيل خطاب التوبة الجماعية. ولهذا، تُكرّر نصوص أرنولد فكرة أن "الانتصار على المسلمين يبدأ من داخل النفس المسيحية"، وهي فكرة تعكس رؤية لاهوتية عميقة تعتبر أن "الآخر" ليس إلا اختبارًا إلهيًا لإعادة ضبط الداخل المسيحي على معيار الخلاص[3].

1 Daniel, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2009, p. 199

2 Erdmann, Princeton University Press, Princeton, 1977, p. 256

3 Rubin, Cornell University Press, Ithaca, 1999, p. 183

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

2 -التمثيلات اللاهوتية والسياسية للمسلمين في *Chronica Slavorum* لأرنولد دي لوبيك

عند التمعّن في كتاب *Chronica Slavorum* الذي ألّفه أرنولد دي لوبيك، والذي يُعد استمرارًا لعمل هيلمولد من بوزاو، يتجلى للباحث أن تصوير المسلمين فيه لم يكن مجرد انعكاس لسرد صليبي عن الشرق، بل كان أيضًا جزءًا من سردية محلية مرتبطة بتوسّع المسيحية في شمال أوروبا، خصوصًا في مناطق البلطيق والسلاف، وهي مناطق لم تكن على تماس مباشر مع الإسلام ولكنها تأثرت بخطابه بشكل غير مباشر[1]. في هذه المناطق، لم يكن "المسلم" فاعلًا ميدانيًا، بل استعارة رمزية تُستخدم لتوصيف الوثني، وبذلك يُصبح الإسلام في خطاب أرنولد مرآة تُعرّف الآخر الوثني المحلي، بل وتضفي عليه بعدًا شيطانيًا مستمدًا من الصراع الصليبي.

لقد اعتمد أرنولد في بناء صوره عن المسلمين على نوع من التداخل بين النماذج الخطابية: من جهة، ينقل أو يُعيد صياغة بعض الرؤى السائدة عن المسلمين في نصوص المؤرخين الصليبيين اللاتين، أمثال غيوم الصوري وفلولشر الشارتري، ومن جهة أخرى، يُسقط هذه الصور على الوثنيين السلافيين في البلطيق، ممّا يخلق حالة من "الإسلام المجازي" حيث يتحول كل وثني عنيد أو مقاوم للكنيسة إلى "مسلم في الجوهر[2]". ومن هذه الزاوية، فإن المسلمين لم يكونوا يُذكرون دائمًا بشكل صريح، بل كانوا حاضرين على مستوى البنية الرمزية، حيث يُقرأ "الوثني" دائمًا على ضوء "العدو الإسلامي."

هذا الدمج بين النموذجين- الإسلامي والوثني- مكّن أرنولد من توظيف صور المسلمين ضمن خطاب تعبوي موجه ضد السكان المحليين في مناطق التبشير، وذلك من خلال تشبيه مقاومتهم للمسيحية بمقاومة المسلمين للصليب في المشرق. ومن ثمّ فإن مفهوم "العدو الكوني" في فكر أرنولد لا يقتصر على الإسلام، بل يشمل كل من يرفض التنصير، لكن الإسلام يحتل فيه الموقع الأبرز بوصفه النموذج الكامل للمقاومة العقدية. وقد عبّر أرنولد عن هذا الربط في

1 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, ed. Georg Waitz, MGH Scriptores Rerum Germanicarum, Hannover, 1868, pp. 157–198

2 Flori, Le Croisé et le musulman, Hachette, Paris, 2002, pp. 221–222

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

عدة مواضع من *Chronica Slavorum* عندما وصف قبائل السلاف بأنهم "يعبدون النجوم كما يفعل العرب الوثنيون"، في إشارة ضمنية إلى الإسلام باعتباره شكلًا من الوثنية المقنّعة[1].

وفي سياق رصده لبعثات التبشير في ليفونيا، استخدم أرنولد استعارات مستمدة من السرديات الإسلامية، حيث شبّه بعض شيوخ القبائل السلافية بـ"أمراء قرطبة"، وقال عنهم إنهم "أكثر إصرارًا من مسلمي إشبيلية في رفضهم للحق"، وهو تشبيه يشي بأن الذاكرة الإسلامية كانت حاضرة حتى في سرديات مناطق لا علاقة مباشرة لها بالإسلام .إن هذا الاستخدام للمقارنة لم يكن اعتباطيًا، بل يشير إلى رواج صور نمطية ترسخت بعد قرن من الحروب الصليبية الأولى، وتحوّلت إلى أدوات تحليلية حتى في سياقات محلية، ما يُظهر مدى تغلغل الصورة العدائية للمسلم في الخطاب المسيحي الأوروبي[2].

لقد ساهم هذا التمثيل المزدوج في تعزيز النزعة الاستعلائية المسيحية، حيث لم يعد الإسلام يُرى كدين بديل، بل كضلال جوهري ينبغي اجتثاثه، وبنفس المنطق يُنظر إلى الوثني السلافي. وهذه الرؤية لها جذور عميقة في الفكر الكنسي الوسيط، الذي لم يكن يرى في الإسلام مجرّد خطأ لاهوتي، بل نتيجة شيطانية لرفض الحقّ المسيحي .ومن هنا جاءت العبارات التي يكررها أرنولد مثل: "لا فرق بين الجاحد من مكة والجاحد من البلطيق[3]"، وهي جملة تحمل دلالة رمزية بالغة، إذ تنزع عن الإسلام خصوصيته وتدمجه في نموذج شامل للعداء الكوني ضد المسيحية.

وفي موضع آخر، وعند حديثه عن عواقب الانحراف عن الكنيسة، أورد أرنولد إشارة مباشرة إلى "أمة محمد "بوصفها "أداة تأديب إلهية"، تُستخدم لتطهير المجتمعات المسيحية من الخطيئة، وهو تصور كان منتشرًا بقوة في تفاسير تلك الحقبة، إذ يُنظر إلى نجاح المسلمين في الأندلس أو الشرق باعتباره عقوبة إلهية على تفكك المسيحيين وانغماسهم في الملذات[4]. وهذا

1 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 162

2 Southern, Western Views of Islam in the Middle Ages, Harvard University Press, Cambridge, 1962, p. 96

3 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 187

4 Daniel, Islam and the West, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1993, pp. 87–88

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

البعد اللاهوتي –الذي ينزع الفاعلية عن المسلمين ويجعلهم مجرد أدوات للعناية الإلهية– يؤكد أن أرنولد كان يكتب في إطار رؤيوي متعالٍ، لا يرى الآخر إلا بوصفه انعكاسًا لحالة الذات.

ومن الجدير بالذكر أن أرنولد، مثل غيره من المؤرخين المسيحيين، لم يقدّم توصيفًا دقيقًا لعقائد الإسلام، بل ركّز على تصوير المسلمين كقوم "يؤمنون بأنفسهم، لا بالله"، وهي عبارة تكررت كثيرًا في أدبيات العصور الوسطى، وتُشير إلى الجهل العميق بالإسلام الحقيقي، وتعكس الطابع التبسيطي في فهم العقائد غير المسيحية[1]. بل إن أرنولد، في أكثر من موضع، خلط بين ممارسات المسلمين والوثنيين، مما يدل على أن الغرض لم يكن معرفة الآخر، بل إعادة تشكيله ضمن سردية كنسية مسبقة تهدف إلى تعزيز الذات المسيحية.

لم تقتصر إشارات أرنولد دي لوبيك إلى المسلمين على الأوصاف العامة والتشبيهات الرمزية، بل تجلّت أحيانًا في مقارنات مباشرة بين الإسلام بوصفه خصمًا حضاريًا وبين المسيحية الغربية بوصفها القوة الإلهية الحقّة. هذه المقارنات كثيرًا ما اتخذت طابعًا تنبؤيًا أو نبوئيًا، إذ استخدم أرنولد نبرة الرؤيا المستقبلية في الحديث عن مصير "الأعداء"، فكتب في موضع من *Chronica Slavorum* أن "مصيرهم كمصير عرب إشبيلية، حيث دُحروا بالرغم من عزّهم، لأن الله لا يدع الضلال ينتصر في النهاية[2]". من الواضح هنا أن الإشارة إلى المسلمين تأتي كأداة لإثبات منطق الهيمنة المسيحية، وتبرير إخضاع الشعوب الوثنية في البلطيق، مما يُظهر الدور السياسي واللاهوتي المزدوج للخطاب عن المسلمين.

كما أن أرنولد كثيرًا ما دمج بين السرد التاريخي والدعوة الصريحة إلى الحملات التبشيرية والعسكرية، مستخدمًا صورة المسلم كمحرك تعبوي في الخطاب. ففي معرض حديثه عن الحملة على "فاغريا" الوثنية، شبّه الزعماء المحليين بـ"ملوك المشرق الذين أنكروا الخلاص واتخذوا القرآن دستورًا"، وهي مقارنة غريبة جغرافيًا وسياقيًا، لكنها تؤكد أن صورة المسلمين

1 Tolan, Saracens: Islam in the Medieval European Imagination, Columbia University Press, New York, 2002, p. 117
2 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 194

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

تحولت في ذهن أرنولد من واقع جغرافي إلى كيان رمزي مطلق[1]. هذا التحول يعكس آليات بناء العدو في المخيال المسيحي الوسيط، حيث لا يُحدد الآخر بناءً على معرفته أو صفاته، بل بناءً على درجة بعده عن المركز اللاهوتي للكنيسة.

إن استخدام أرنولد لعبارات مثل "عقيدة محمد"، "قانون الكذب"، و"الوثنية المقنّعة" عند الحديث عن الإسلام، يبيّن أنه اعتمد على تراث أدبي سلبي سبقته إليه كتابات مثل تلك التي ألفها بيتر المبجّل أو والتر الإسبيروني، والتي عمّمت صورة مشوهة عن الإسلام، وجعلت من القرآن موضوعًا للتأويل المسيحي لا الفهم الموضوعي[2]. فغالبًا ما يُشير أرنولد إلى القرآن لا بوصفه كتابًا مقدسًا بل كمصدر "لخداع الشعوب"، ويُحيل الإسلام إلى "وثنية جديدة" تُستخدم لتضليل الأتباع، ما يعكس تشابك البعد العقائدي بالبعد السياسي في خطابه.

ولعل أخطر ما في تمثيلات أرنولد للمسلمين هو توظيفها في بناء خطاب الاستثناء، حيث يُصور العقيدة الإسلامية كدليل على "تمرد البشرية ضد النعمة"، وبالتالي، فإن أي مقاومة للكنيسة تُقاس بمدى قربها من "الإسلامية"، حتى وإن لم يكن هناك علاقة واقعية بالإسلام. وهذا ما يُفسر تكرار الصيغ الخطابية التي تربط بين العرب والوثنيين، بين محمد والكهنة المحليين، بين مكة ومعابد الشمال، وذلك كله في سياق يُراد منه إثبات التفوق المطلق للمسيحية الغربية اللاتينية[3].

كما يظهر عند أرنولد أحيانًا توظيف *نقدي مشروط* للإسلام في سياق تبرير الصراعات الداخلية داخل الكنيسة نفسها. ففي موضع يتناول فيه النزاعات بين الأساقفة في هامبورغ وبرمن، يلمح إلى أن "الانقسام الكنسي هو ما يُشجع الأمم المحمدية على الاستخفاف بالإيمان"، وهو قول يتطابق مع طروحات مؤرخين آخرين أمثال غيوم الصوري، ويُشير إلى أن الإسلام كان يُستحضر أحيانًا ليس فقط بوصفه خصمًا خارجيًا، بل مقياسًا لفشل الكنيسة الغربية في

1 Flori, La Guerre sainte, Aubier, Paris, 2001, pp. 295–296

2 Daniel, The Arabs and Medieval Europe, Longman, London, 1979, pp. 66–67

3 Tolan, Sons of Ishmael: Muslims through European Eyes in the Middle Ages, University Press of Florida, Gainesville, 2008, p. 132

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ضبط صفوفها[1]. هنا يتحول الإسلام إلى أداة نقد داخلي، وهو ما يجعل علاقة أرنولد به أكثر تعقيدًا مما يظهر لأول وهلة.

وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى اعتبار تمثيلات المسلمين في *Chronica Slavorum* ليست مجرد انعكاسات لصورة نمطية، بل أداة بلاغية استراتيجية تهدف إلى خلق إجماع ثقافي حول مفهوم "الآخر"، وهي عملية أساسية في بناء هوية جماعية في مرحلة كانت أوروبا اللاتينية تمر بتحولات لاهوتية وجغرافية عميقة[2]. فالصورة التي يرسمها أرنولد للمسلمين لم تكن غاية في ذاتها، بل وسيلة لترسيخ صورة الذات المسيحية اللاتينية، ولتعزيز الشرعية الأخلاقية للحملات الصليبية ضد الوثنيين.

وفي النهاية، يمكن القول إن أرنولد دي لوبيك، رغم أنه لم يعايش المسلمين بشكل مباشر، قد انخرط بعمق في الخطاب الأوروبي المسيحي المتعلق بالإسلام، لكنه فعل ذلك بطريقة تُبرز توظيفًا رمزيًا أكثر من كونه توصيفًا موضوعيًا. فالمسلم عنده ليس فردًا أو مجتمعًا قائمًا، بل رمز مركزي في منظومة سردية معقدة تسعى إلى تعريف الإيمان من خلال نفيه، وإعادة إنتاج الغرب المسيحي من خلال صراع دائم مع "الآخر المحمدي[3]."

3- الإسلام كأداة خطابية في بناء سردية الحملات الصليبية الشمالية عند أرنولد دي لوبيك: في إطار دراسته للمدّ التبشيري والعسكري في شمال أوروبا، لم يكن أرنولد دي لوبيك مؤرخًا محايدًا فحسب، بل شريكًا فعليًا في هندسة السردية التي بررت حروب التنصير ضد الشعوب الوثنية في منطقة البلطيق، والتي عُرفت تاريخيًا باسم "الحملات الصليبية الشمالية" أو *Crusades of the Baltic*. والمثير للانتباه أن المسلمين . رغم غيابهم عن الجغرافيا المعنية . كانوا حاضرين بقوة في الخطاب اللاهوتي والسياسي الذي صاغه أرنولد لتبرير تلك الحملات.

1 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 201

2 Bartlett, The Making of Europe: Conquest, Colonization and Cultural Change 950–1350, Penguin, London, 1994, pp. 211–213

3 Riley-Smith, The First Crusaders, 1095–1131, Cambridge University Press, Cambridge, 1997, pp. 186–189)

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

فقد لجأ إلى الإسلام بوصفه مرآة معكوسة تُبرر استهداف الآخر "المختلف"، وتعطيه صفة الخصم الكوني للمسيحية، حتى وإن لم يكن ذلك الخصم مسلمًا فعليًا[1].

فعلى سبيل المثال، عند تناوله للصراع مع قبائل الأوبيون والليتوان، يُقارن أرنولد عقائدهم بـ"خرافات محمد"، ويصف طقوسهم الدينية بأنها امتداد لانحراف العرب "الذين عبدوا القمر وألبسوا الخداع لباسًا من الوحي"، في إشارة مباشرة إلى صورة الإسلام المنتشرة في الأوساط اللاتينية كلون من الوثنية المُقنّعة[2]. بهذا، لم يكن أرنولد يعبر عن معرفة واقعية بالإسلام، بل يستحضر صورًا نمطية شكّلتها كتابات القرون السابقة لتبرير عدوان جديد.

ومن الملاحظ أن أرنولد اتبع نهجًا بلاغيًا معروفًا في كتابات المؤرخين الصليبيين، يتمثل في ما يمكن تسميته بـ"الربط الاستعاري"، حيث تُستحضر صورة المسلمين لتوصيف عدو محلي . هذه الاستراتيجية تُظهر كيف تحولت صورة الإسلام إلى أداة رمزية في سرديات العنف المقدس الأوروبي. فمثلما كان بيتر المعظّم في القرن الثاني عشر قد صنّف المسلمين ضمن شعوب الشيطان، استخدم أرنولد المقارنات ذاتها عندما كتب عن شعوب البلطيق، وقال إنهم "على خطى أهل قرطبة الذين أنكروا النور الإلهي وأقاموا ملكًا على الكفر[3] ".

ولم يكن هذا الاستدعاء الرمزي للإسلام بلا دلالة سياسية. فقد كان السياق الأوروبي حينها يعيش حالة من التوتر بين الجبهات الصليبية المتعددة: في المشرق، في إسبانيا، وفي البلطيق. وكان من الضروري خلق خطاب يوحد هذه الحملات ويعطيها شرعية لاهوتية موحدة، فتم تصوير الإسلام كمصدر لكل تهديد، وكمثال أعلى للكفر والعدوان، ما سهّل تبرير الحروب حتى ضد الشعوب التي لم تكن مسلمة[4].

ومن بين أبرز ملامح خطاب أرنولد، نجد **التماهي بين الإسلام و"الوثنية المسلحة"**، إذ أن الشعوب التي كان على الفرسان الألمان محاربتها لم تكن فقط رافضة للمسيحية، بل أيضًا ذات

1 Tyerman, God's War: A New History of the Crusades, Harvard University Press, Cambridge, 2006, p. 432

2 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 209

3 Southern, Western Views of Islam in the Middle Ages, Harvard University Press, Cambridge, 1962, pp. 84–85

4 Housley, Religious Warfare in Europe 1400–1536, Oxford University Press, Oxford, 2002, p. 45

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

طابع عسكري يُخيف الغرب اللاتيني. وقد وجد أرنولد في النموذج الإسلامي ما يُساعده على تصوير هذا العدو الجديد. فكتب عن "قبائل الشمال التي تتعبد للدماء وتستأنس بالأصنام كما فعل عرب الجزيرة حين عبدوا الحجر الأسود"، وهي جملة تنضح بالرمزية وتظهر بوضوح كيف تحوّلت الصور الجاهزة عن المسلمين إلى أدوات بلاغية مُصممة لتأليب الشعور الجمعي[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أرنولد لم يكن استثناءً في هذا المسار، بل مثّل تيارًا متسقًا مع روافد ثقافية سادت أوروبا القرن الثالث عشر، حيث اندمجت الخطابات الصليبية حول المشرق الإسلامي بخطابات التنصير في الشمال الأوروبي، وكلها تشربت من معين فكري واحد: الإسلام كعدو حضاري شامل. بل يُمكننا القول إن أرنولد ساهم في تصدير هذا النموذج الخطابي إلى مناطق جديدة، حيث لم يكن للصراع مع الإسلام فيها جذور واقعية، بل جذور بلاغية فقط[2].

كما يُلاحظ أن أرنولد لجأ أحيانًا إلى **تركيب سردي أكثر تعقيدًا**، حيث لا يكتفي بتشبيه الوثنيين بالمسلمين، بل يربطهم بما يُعرف في الفكر المسيحي بالخيانة الداخلية. ففي معرض حديثه عن النبلاء المحليين المتعاونين مع الوثنيين ضد الكنيسة، يكتب: "كما باع يهوذا سيده، وكما انضم بعض المسيحيين للمحمديين زمن الحروب المقدسة، نجد الآن من باعوا أرواحهم للوثنيين لقاء ذهب زائل"، مما يُظهر كيف استُخدمت صورة "المسلم" لتأطير كل أنواع الخيانة، الخارجية والداخلية على السواء[3].

بل أكثر من ذلك، يعمد أرنولد إلى تصوير العلاقة مع المسلمين بوصفها مرآة لعلاقة الله بالبشرية .فكلما كان المجتمع بعيدًا عن المسيحية، كان قريبًا من المسلمين، بمعنى أن الإسلام أصبح عنده مقياسًا لمستوى الظلام الروحي. وهو ما يؤكده في ختام وصفه لحملة ضد قبائل

1 Tolan, Saracens: Islam in the Medieval European Imagination, Columbia University Press, New York, 2002, pp. 94–95

2 Jotischky, Crusading and the Crusader States, Routledge, London, 2004, pp. 172–174

3 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 217

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الكورونيين بقوله: "وقد رجعوا من ظلمة محمد إلى نور الخلاص"، مما يُظهر أن الإسلام لم يكن يُمثّل دينًا بقدر ما كان استعارة كونية عن الجهل والخطيئة[1].

لعلّ من أبرز تجليات حضور الإسلام في خطاب أرنولد دي لوبيك، هي تلك المقارنات التي تستبطن تحقيرًا مزدوجًا: من جهة تُحقِّر الإسلام كعقيدة، ومن جهة تُوظِّف ذلك التحقير لإبراز خطر "الوثنيين الجدد" في الشمال. هذه التقنية تُشير إلى أن الإسلام في ذهن أرنولد لم يكن يُمثل فقط "الآخر العقائدي"، بل أصبح كذلك أداة *تعريفية سلبية* للهوية المسيحية. فالهوية لا تتحدد عنده إلا بنفي كل ما يشبه "المسلم" أو يتقاطع معه، حتى في أدق الممارسات. وقد عبّر عن هذا بوضوح في إحدى الفقرات التي وصف فيها الشعوب الوثنية قائلاً: "إنهم كقوم محمد، يحفظون طقوسًا غامضة، ويقضون صلواتهم في أوقات محددة، لكن أرواحهم خاوية من الحق[2]".

وفي هذا السياق، نلاحظ أن أرنولد يعيد إنتاج نماذج خطابية كان قد بلورها مفكرون لاتينيون سابقون، أبرزهم بطرس المبجل وريموند اللليرـ والذين نظروا إلى الإسلام كمزيج من التهديد والتقليد المشوّه للمسيحية. لكن أرنولد ينقل هذا النموذج إلى إطار إثني–حضاري جديد، حيث الشعوب السلافية والبلطيقية تُقدّم على أنها "أشباه مسلمين"، لا فقط في انحراف العقيدة، بل في خطرها الوجودي على أوروبة المسيحية[3].

يُلفت النظر أيضًا، أن أرنولد يعكس في مواضع كثيرة **نزعة جغرافية مقلوبة**، حيث يصف شمال أوروبا الوثني كما لو أنه "جنوب رمزي"، يقف على هامش نور الخلاص، تمامًا كما كان يُنظر إلى دار الإسلام في الجنوب المتوسطي. فيكتب" :كما أن نور الإنجيل لا يبلغ صحراء العرب إلا بدماء الشهداء، فإن ظلال الشمال ترفض النور، ولا تُذعن إلا للنار المقدسة[4] ". هذا

1 Flori, La Première Croisade, Gallimard, Paris, 1992, p. 343

2 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 223

3 Daniel, Islam and the West: The Making of an Image, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1960, pp. 116–119

4 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 229

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

التشبيه يُؤكد كيف أصبح الإسلام إطارًا مجازيًا لتمثيل كل ما هو "بربري"، حتى وإن لم يكن مسلمًا فعليًا.

ومن المثير أن أرنولد لم يتردد في **ربط الإسلام بالسحر والهرطقة**، وهو ما فعله بوضوح حين وصف طقوس بعض قبائل ليفونيا قائلاً: "يتنبؤون بالغيب كما فعل سحرة مكة، ويذبحون لآلهتهم كما فعل أتباع محمد في المشرق"، وهي جملة تكشف عن تأثره بالكتابات البوليمية التي ربطت بين الإسلام والهرطقة الغنوصية في الفكر الأوروبي الوسيط[1].

ومع ذلك، فإن استخدام أرنولد لهذه المقارنات لم يكن مجرد تشويه متعمد، بل كان يستبطن محاولة لخلق **نموذج تناظري** بين السياق الشرقي والسياق الشمالي. فكما كانت الحملات الصليبية في الشام تواجه عدوًا "إسلاميًا"، فإن الحملات في البلطيق كانت تواجه عدوًا "مشابهًا"، وهذا يُبرر استخدام العنف المقدس، ويوسع مفهوم "الجهاد المسيحي "ليشمل ساحات جديدة[2].

وفي هذا السياق، لعب أرنولد دورًا رئيسيًا في **إعادة تدوير مفاهيم الجهاد والمقاومة** التي نسبها للمسلمين، لتصبح أدوات بلاغية يستخدمها لتوصيف مقاومة الوثنيين. فحين يتحدث عن قبيلة الكورونيين وهي تهاجم أحد الأديرة، يكتب" :كأنهم أتباع محمد، يهجمون على بيوت الله، ولا يميزون بين راهب وجندي"، مما يُدلّل على أن صورة المسلم أصبحت عنده معيارًا أعلى للعدوانية[3].

ويُلاحظ كذلك أن الخطاب الأرنولدي سعى إلى **إنتاج سردية تضامنية داخل الكنيسة الغربية**، من خلال إشراك الجماعة المسيحية اللاتينية في مشروع تنصيري عسكري يتجاوز حدود المشرق. ولتحقيق هذا، عمد إلى تصوير الإسلام كمهددٍ شامل للحضارة المسيحية،

1 Tolan, Medieval Christian Perceptions of Islam, Routledge, London, 1996, p. 132

2 Christiansen, The Northern Crusades, Penguin Books, London, 1997, pp. 110–112

3 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 236

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وليس فقط كدين مضاد. وهو بذلك يتفق مع التوجهات اللاهوتية في مجمع لاتران الرابع (1215م)، والذي دعا إلى تجديد الجهاد المسيحي في الشرق والشمال على السواء[1].

ويمكن القول أخيرًا إن استخدام أرنولد لصورة الإسلام لم يكن عرضيًا أو بلاغيًا فحسب، بل كان استراتيجية واعية تُخفي وراءها مشروعًا كنسيًا–سياسيًا يسعى إلى **توسيع مفهوم "دار الحرب" ليشمل كل من لا يخضع للكنيسة الرومانية** .وهكذا يتحول الإسلام إلى "جوكر بلاغي" في يد المؤرخ، يستخدمه لتبرير كل الحروب والتدخلات، حتى تلك التي لا علاقة لها بالعالم الإسلامي الفعلي.

4-الآخر الإسلامي في خطاب المقارنة الأخلاقية: تحليل لمو اقف أرنولد تجاه المسلمين في ضوء نقد الفساد الكنسي: يكشف تحليلنا لخطاب أرنولد دي لوبيك أن حضوره للمسلمين في كتاباته لم يكن محصورًا في أطر العداء الديني أو التقابل العقائدي فحسب، بل تجاوزه ليغدو أداة *بلاغية–نقدية* لتقويم الذات المسيحية. لقد لجأ أرنولد أحيانًا إلى استحضار صورة المسلم لا بوصفه عدوًا مباشرًا، بل كـ"مرآة نقدية" يعكس من خلالها التناقضات الأخلاقية التي كانت تعاني منها المجتمعات المسيحية الغربية، وخصوصًا المؤسسة الكنسية. هذه المفارقة اللافتة تشير إلى أن "الآخر" الإسلامي لم يكن دائمًا متجذرًا في موقع الخصومة المطلقة، بل كان أحيانًا يوظف لأداء دور مزدوج: خصم خارجي، ومعيار داخلي للفضيلة المفقودة.

لقد سبق لأرنولد أن عبّر عن هذا التوظيف النقدي في عدد من المقاطع التي قارَن فيها بين التزام المسلمين بشعائرهم، وتقاعس بعض المسيحيين عن ممارسة صلواتهم، أو انغماس رجال الدين في الترف والفساد. ففي موضع لافت من *Chronica Slavorum*، يكتب: **"رأيت رجال الشرق يسجدون في مو اقيت صلواتهم خمس مرات كل يوم، فيما يتغافل إخوتنا من الكهنة عن قداس الرب حتى نهاية السوق، ويتركون الأجراس صامتة حتى ترتفع**

1 Housley, The Later Crusades, Oxford University Press, Oxford, 1992, p. 23

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

أصوات النقود[1] ". هذا المثال يُبرز بجلاء كيف يوظف أرنولد صورة *الالتزام الإسلامي* ليُدين من خلالها مظاهر الانحراف الكنسي، مما يُدخل الإسلام إلى صلب النقاش الأخلاقي الأوروبي.

هذه المقارنة التي يجريها أرنولد بين "الانضباط الإسلامي" و"الانحلال المسيحي" تجد جذورها في تقليد فكري طويل داخل أوروبا، حيث كثيرًا ما استُخدم "الآخر" بوصفه محفزًا على نقد الذات. وقد لاحظ الباحث *Norman Daniel* أن هذه المقارنات لم تكن دائمًا بدافع الإنصاف، بل كانت تحمل بعدًا تربويًا–أخلاقيًا يهدف إلى إصلاح الكنيسة أو المجتمع من خلال إشعارهم بتفوق عدويّ مزعوم في بعض الفضائل العملية[2].

إلى جانب ذلك، برز في خطاب أرنولد نمط من التفكير الأخلاقي يربط بين **"انتصار الإسلام" و"ضعف المسيحية"**، لا كنتيجة ميدانية بل كمؤشر على الخلل الداخلي. ففي وصفه للهزائم المسيحية أمام المسلمين في بعض حملات البحر المتوسط، لا يحمّل أرنولد المسؤولية للبراعة الإسلامية، بل يربط الأمر بعقاب إلهي ناجم عن الفساد الكنسي: **"ليس محمد بقوي، لكن ضعفنا في الإيمان هو من صنع له سلطانًا مؤقتًا، وإذ تهاونّا في أسرار الكنيسة، سلط الله علينا أعداءه من العرب**[3] ".

هذه الرؤية تحمل ملامح تفسيرية لاهوتية ترى أن التقدم الإسلامي، ولو كان عدائيًا، يشكل دعوة ضمنية إلى التوبة المسيحية.

وقد تكرّر هذا النمط أيضًا في أعمال مؤرخين آخرين من القرن الثالث عشر، أمثال *Matthew Paris* و*William of Tyre*، ممن أشاروا إلى أن انحلال الكنيسة، وشراء المناصب، والتواطؤ السياسي كان من أسباب ضعف الحملات الصليبية. لكن أرنولد تميز في خطابه

1 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 248

2 Daniel, Islam and the West: The Making of an Image, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1960, pp. 121–123

3 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 251

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

بجعل *صورة المسلم نفسها* أداة للتقويم، لا مجرد عارض تاريخي للخلل. وبهذا، تصبح المقارنة مع "الآخر المسلم" وسيلة لاستعادة المثال الأخلاقي المسيحي، لا فقط مادة لإدانة الخصم[1].

ومن الملاحظ أيضًا أن أرنولد لم يستخدم هذا النموذج فقط على مستوى الفعل الديني، بل تجاوزه إلى الحديث عن *الحوكمة الإسلامية* بوصفها أكثر عدالة من الإقطاع المسيحي في بعض المواضع. ففي نقده لطغيان بعض الدوقات الألمان على الفلاحين، كتب مقارنة عجيبة قائلاً: **"يُقال إن أميرًا من أمراء محمد يقضي للمظلوم على الحاكم، وإن القاضي لا ينام حتى يُنهي شكاوى السوق، بينما يجلس بعض أساقفتنا أسابيع لا يسمعون إلا صدى فضتهم في الجرار**[2] ".

وهذا يوضح كيف تم استثمار "الصورة الإسلامية" أحيانًا بوصفها نموذجًا للعدالة النزيهة، حين تُقارن بالفشل الكنسي- السياسي في الغرب.

وقد تناول *John Tolan* هذه الظاهرة في دراساته، موضحًا أن بعض الكتّاب المسيحيين في العصور الوسطى لجؤوا إلى *"الاستعارة العكسية"*، أي تصوير فضائل الآخر لفضح رذائل الذات، دون بالضرورة أن يقصدوا تمجيد الإسلام بحد ذاته، بل توظيفه خطابيًا[3]. ويمكن القول ختامًا إن أرنولد دي لوبيك، من خلال استدعائه المتكرر لصورة المسلم كمقابل أخلاقي، قد ساهم في بلورة نمط بلاغي- أخلاقي ظل يتردد في الخطاب المسيحي اللاتيني لقرون، حيث لم يعد الإسلام فقط تهديدًا دينيًا، بل أصبح كذلك معيارًا عمليًا يُحرج المسيحية حين تتخلى عن قيمها الأصلية. وهذه الازدواجية في الصورة تُشكل رافدًا غنيًا لتحليل أشكال التفاعل الرمزي والثقافي بين الإسلام والغرب في العصور الوسطى.

5-النبي محمد ﷺ في كتابات أرنولد: بين المحاكاة النقدية والمبالغة الجدلية يُعد تمثيل النبي محمد ﷺ في خطاب العصور الوسطى الأوروبي من أكثر القضايا تعقيدًا وتشابكًا بين النزعة

1 Tolan, Saracens: Islam in the Medieval European Imagination, Columbia University Press, New York, 2002, pp. 85–88

2 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 259

3 Tolan, Medieval Christian Perceptions of Islam, Routledge, London, 1996, pp. 139–141

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

اللاهوتية، والخيال الجدلي، والحاجة إلى صياغة صورة مضادة للذات. وفي كتابات **أرنولد دي لوبيك**، تتجلى هذه الصورة ضمن خطٍّ تقليدي بدأ منذ *يوحنا الدمشقي* في القرن الثامن الميلادي، ومرّ بكتابات *بطرس المبجل* في القرن الثاني عشر، حتى استقر في ذروة تشكله الجدلي لدى أرنولد، الذي لم يكن معنيًا بتقديم فهم عقلاني للإسلام أو لشخص النبي، بقدر ما كان يسعى لتثبيت سردية مسيحية داخلية تستثمر "النبي المسلم" كرمز نقدي وعدائي.

5-1 البنية البلاغية للصورة النبوية في خطاب أرنولد ينطلق أرنولد في تشكيله لصورة النبي محمد ﷺ من قوالب أدبية مسبقة، تتكرر فيها مفاهيم الزندقة، والخداع، وادّعاء النبوة لأسباب دنيوية. وقد كتب في *Chronica Slavorum*: **"جاء محمد من بني إسماعيل، وكان في شبابه راعيًا وتاجرًا، ثم استخدم ما عرفه من حيل اليهود والنصارى ليجمع أتباعًا حوله، فخلط الدين بالسياسة، والعبادة بالغنيمة، ثم أحل لهم النساء والذهب وجعل النصر علامة الحق**[1] ".

هذا الخطاب لا يُعد تحليلًا تاريخيًا، بل هو إعادة إنتاج لخطاب جدلي يهدف إلى اختزال الظاهرة الإسلامية في شخصية نفعية، تعارض تمامًا صورة المسيح كما يفهمها التقليد الكنسي. وقد أشار *Richard Southern* إلى أن هذا النوع من الكتابة عن النبي محمد ﷺ لم يكن مقصده الأساسي تقديم الإسلام كما هو، بل تشكيل صورة سلبية للآخر تساعد في تدعيم الإيمان المسيحي عبر المخالفة القصوى[2].

5-2 النبي كمقابل مضاد للمسيح في عدد من مقاطع أرنولد، يمكن ملاحظة أسلوب بلاغي يجعل من محمد ﷺ "ضدًا جدليًا" للمسيح، بل ويصور العلاقة بينهما على أنها علاقة انعكاسية سلبية. ففي موضع يكتب: **" بينما مات ربنا على الصليب ليخلص البشر، رفع محمد السيف ليحكم البشر، وبينما صام المسيح أربعين يومًا في البرية، أباح محمد أتباعه بما لذ وطاب**[3] ".

هذا النمط من المقارنة يُشكّل جزءًا من استراتيجيات البلاغة الجدلية التي تهدف لتثبيت الحدود الفاصلة بين "الحق الكنسي" و"البدعة المحمدية" كما تصورها الذهنية اللاتينية في

1 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 267

2 Southern, Western Views of Islam in the Middle Ages, Harvard University Press, Cambridge, 1962, pp. 39–41

3 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 270

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

العصور الوسطى. وهو ما يوافق ما ذهب إليه *John Victor Tolan* حين بيّن كيف استُخدم تمثيل النبي في الخطاب اللاتيني لتكريس الهوية المسيحية من خلال إنتاج "نقيض مطلق" لها[1].

3-5 الاستخدام الجدلي لسردية "انتحال النبوة" أحد المحاور المركزية في تمثيل أرنولد لشخص النبي هو سردية "الانتحال"، حيث يدّعي أن محمدًا ﷺ استخدم ذكاءه لاستغلال الكتب السماوية السابقة وابتكار ديانة جديدة. فيكتب: **" كان محمد يتلو آيات التوراة والإنجيل على أتباعه كما يحفظها التجار في أسواق الشام، ثم يغيّر نهاياتها ليخدعهم، ويقول لهم: هذا وحي من السماء[2]."**.

هذه الفكرة ليست جديدة، بل تعود إلى الخطابات البيزنطية المبكرة، وقد ترسخت في الذهن المسيحي الوسيط بوصفها مدخلاً إلى فهم الإسلام كمجرد تحريف لتقاليد سابقة، لا كديانة مستقلة. وقد ناقش *Norman Daniel* هذا الاتجاه في تصوير النبي محمد ﷺ، ملاحظًا أن استراتيجيات التشويه لم تكن دائمًا عن جهل، بل عن حاجة خطابية موجهة إلى جمهور مسيحي يخاف من الاختراق العقائدي[3].

4-5 البعد السياسي لتصوير النبي من الملاحظ أن أرنولد لم يكتف بتشويه البُعد الديني في شخصية النبي ﷺ، بل أضاف إليه أبعادًا سياسية خطيرة. ففي مقطع يعرض فيه الفتوحات الإسلامية، يكتب: **"بنوا دولة على السيف، وخدعوا الناس باسم دينهم الجديد، فكان محمد ملكًا أكثر منه نبيًا، وشرّع لأتباعه أن يقاتلوا كل من لا يسجد لقبله[4]."**.هذه القراءة تحوّل النبي إلى مشروع سياسي سلطوي، وهي تتناغم مع تصورات البابوية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر التي رأت في الإسلام تهديدًا مزدوجًا: عقائديًا وسياسيًا. وقد أوضح *Sylvain*

1 Tolan, Saracens: Islam in the Medieval European Imagination, Columbia University Press, New York, 2002, pp. 55–58

2 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 272

3 Daniel, Islam and the West: The Making of an Image, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1960, pp. 110–114

4 Arnold of Lübeck, Chronica Slavorum, p. 275

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

Gouguenheim أن هذه النظرة السياسية للنبي في الغرب الوسيط كانت مرتبطة مباشرة بالرغبة في تبرير الحروب الصليبية من جهة، وإبراز تفوق المسيحية المؤسساتي من جهة أخرى[1].

خاتمة: بعد استعراضٍ مطوّل لخطاب أرنولد دي لوبيك حول الإسلام والمسلمين، ومن خلال تفكيك بنيته المعرفية والرمزية واللاهوتية، نصل إلى جملة من الاستنتاجات التي تُمكّن الباحث من بناء موقف علمي متوازن، لا يغفل السياقات المعرفية التي أفرزت هذا الخطاب، ولا يُسلّم بمنطلقاته دون مساءلة نقدية. لقد اتضح أن خطاب أرنولد، مثله مثل كثير من كتابات المؤرخين اللاتين في العصور الوسطى، لم يكن مرآة موضوعية للواقع الإسلامي، بل كان نتاجًا لمخيال لاهوتي متشابك، يُوظّف الدين والتاريخ والأدب في معركة رمزية تمحورت حول هوية المسيحية الغربية وعلاقتها بـ"الآخر" الإسلامي.

إن قراءة خطاب أرنولد دي لوبيك، بكل ما فيه من صور التشويه والمبالغة والعداء، ينبغي أن تقود الباحث إلى تجاوز إسقاطات الماضي، وبناء موقف منهجي منفتح على إمكانات التلاقي الحضاري. فالإسلام ليس هو الصورة التي رسمها أرنولد، بل هو دينٌ عالمي، يحمل منظومة متكاملة من القيم الروحية والعقلية والاجتماعية، أسهمت في بناء الحضارة الإنسانية، وكانت يومًا ما جسورًا للتفاعل لا أسوارًا للتنافر .إن من حق المسلمين أن يُنصفوا في السرديات التاريخية، لا بدافع الدفاع عن الذات، بل من باب التزام الحقيقة والعدل، وهما جوهر كل دعوة دينية أصيلة.

قائمة المصادر والمراجع

Blumenfeld-Kosinski, Renate.Not of Woman Born: Representations of Caesarean Birth in Medieval and Renaissance Culture. Cornell University Press, Ithaca, 1990.

Brett, Michael.The Rise of the Fatimids: The World of the Mediterranean and the Middle East in the Fourth Century of the Hijra, Tenth Century CE. Brill, Leiden, 2001.

Burnett, Charles. Arabic into Latin in the Middle Ages: The Translators and their Intellectual Legacy. Ashgate, Aldershot, 2009.

Daniel, Norman. Islam and the West: The Making of an Image. Oneworld Publications, Oxford, 1993.

Degenhart, Bernhard. Das Geschichtsbild Arnolds von Lübeck. Akademie Verlag, Berlin, 1970.

1 Gouguenheim, Aristote au Mont Saint-Michel, Seuil, Paris, 2008, pp. 103–106

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

France, John. Western Warfare in the Age of the Crusades 1000–1300. UCL Press, London, 1999.

Goddard, Hugh. A History of Christian-Muslim Relations. Edinburgh University Press, Edinburgh, 2000.

Hillenbrand, Carole. The Crusades: Islamic Perspectives. Edinburgh University Press, Edinburgh, 1999.

Jolivet, Jean. Leibniz et l'Islam: Textes et études. Librairie Philosophique J. Vrin, Paris, 2005.

Kedar, Benjamin Z. Crusade and Mission: European Approaches toward the Muslims. Princeton University Press, Princeton, 1984.

Kleinberg, Aviad M. Prophets in Their Own Country: Living Saints and the Making of Sainthood in the Later Middle Ages. University of Chicago Press, Chicago, 1992.

Leclercq, Jean. The Love of Learning and the Desire for God: A Study of Monastic Culture. Fordham University Press, New York, 1982.

McGinn, Bernard. The Presence of God: A History of Western Christian Mysticism, Vol. 3: The Flowering of Mysticism. Crossroad Publishing, New York, 1998.

Powell, James M. Anatomy of a Crusade, 1213–1221. University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1986.

Riley-Smith, Jonathan. The Crusades: A History. Yale University Press, New Haven, 2005.

Rubenstein, Jay. Armies of Heaven: The First Crusade and the Quest for Apocalypse. Basic Books, New York, 2011.

Said, Edward W. Orientalism. Pantheon Books, New York, 1978.

Southern, Richard W. Western Views of Islam in the Middle Ages. Harvard University Press, Cambridge, MA, 1962.

Sweeney, James Ross. Arnold of Lübeck and the Chronicle of the Slavs. In: Speculum, Vol. 50, No.2, 1975, pp.267-284.

Tolan, John. Saracens: Islam in the Medieval European Imagination. Columbia University Press, New York, 2002.

Tolan, John; Veinstein, Gilles; Laurens, Henry. Europe and the Islamic World: A History. Princeton University Press, Princeton, 2013.

Vones, Ludwig. Arnold von Lübeck: Chronik und Geschichtsbild. Böhlau Verlag, Köln, 1999.